ثروة الشعر ثروة وطنية باقية

الزمان:1429/9/14هـ. 1387/6/25ش. 2008/09/15 م.

المكان: طهران

الحضور: جموع غفيرة من الشعراء الإيرانيين

المناسبة: ولادة الإمام الحسن المجتبى (ع).

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً أتقدم بالشكر الجزيل لجميع الإخوة والأخوات سواء الذين قرأوا أشعارهم واستفدت أنا منها واستمتعت بها حقاً، أو الذين لم يقرأوا وضاعفوا من شوقنا إلى أشعارهم – الدكتور السيد حداد يقترح أن تقام هذه الجلسة مرتين في السنة وقد قلت له إنه حتى هذا لا يكفي – كما أشكر السيد باقري الذي أدار الجلسة بصورة جيدة، وكذلك الإخوة الأعزاء الذين أعدوا لهذه الجلسة منذ فترة، ووجّهوا الدعوات، واختاروا، وعيّنوا، وقد حصل كل هذا بفضل جهود ومساعي هؤلاء الأعزاء: السيد قزوة، والسيد مؤمني، وسائر الإخوة.

لا شك أن الشعر ثروة وطنية. إذا شك أحد في هذا فقد شك في إحدى أكثر المسائل بديهيةً. الشعر ثروة لكل بلد.. ثروة كبيرة وخصبة ومثمرة. أولاً ينبغي إيجاد هذه الثروة وإنتاجها. ثانياً يجب مضاعفتها يوماً بعد يوم كي لا تقل ولا تنحسر. وثالثاً ينبغي استخدامها لاحتياجات البلد بأفضل صورة. لا استطيع أن أقول وأدعي ما هو بالضبط سبب نمو الشعر وانتشاره في بلادنا، وهذا الانتشار اليوم واضح وجليٌّ جداً بالقياس إلى الماضي. لا شك أن أحد عوامل ذلك هو انفتاح الأجواء على شتى المستويات الفكرية والعلمية والذهنية وهذه هدية الثورة لنا.. بلا شك. لقد شهدنا عهد ما قبل الثورة ورأينا شعراء ذلك الحين وعرفناهم وعايشناهم. أفضلهم لم يكن يتاح له مجال أن يظهر على الملأ وفي الاجتماعات العامة ويقرأ أشعاره. شاعر كالمرحوم أميري فيروزكوهي الذي وقف بحق على قمة «الغزل» في زمانه، كانت أكثر تجلياته وظهوره أن تكون له جلسات خاصة في زوايا عزلته يجتمع فيها أربعة أو خمسة من أصدقائه فيقرأ لهم غزلياته. أو في مجال الشعر الحديث كان المرحوم أخوان الذي كان بالتأكيد أفضل شعراء الشعر الحر، وأعتقد أنه كان أشعر من جميع أقرانه، وأكثر تمكناً وأجود

لفظاً ومعنى، كان يعيش في عزلة لا يعلم أحد عنه شيئاً، ولا يعرفه أحد سوى جماعة خاصة.. يعيش العزلة والغربة. هكذا كان حال انتشار الشعر وظهوره. ومن الطبيعي حينما يعيش كبار الشعراء مثل هذه العزلة والخمول أن لا يتطور الشباب كثيراً.. هذا شيء أكيد.

قضية الجودة قضية أخرى طبعاً. إنما أناقش هنا قضية العدد والكم والانتشار. قضية الجودة والنوعية قضية أخرى. ينبغي اجتراح اختبارات واقعية وعلمية لنرى كيف يمكن رفع مستوى الجودة. طبعاً جودة الشعر في ذلك الزمن، وبما يتناسب وذلك الزمن، كانت جيدة جداً. في «الغزل» مثلاً كانت هناك شخصيات نظير أميري، ورهي، والمرحوم شهريار، وفي سائر الأنواع ربما كانت هناك شخصيات أخرى، ولا مجال هنا للتفسير والتحليل مع أن في بالي نقاطاً حول هذا الموضوع لا أروم التطرق لها حالياً، لكن الظروف كانت غير ملائمة من حيث السعة والانتشار وانفتاح المجالات أمام الأفراد كي يعبروا عن مواهبهم وهذا بحد ذاته عامل مشجع كبير لم يكن متوفراً آنذاك. فتحت الثورة هذا المجال لا على صعيد الشعر والأدب وحسب بل على مستوى العلوم والبحث العلمي والإدارة أيضاً.. الإدارة العامة كإدارة الحرب والدفاع المقدس الذي فرض علينا وكان اختباراً للجميع.. هذه حالة موجودة والحمد لله وقد اتسعت رقعة الشعر كثيراً.

أضف إلى ذلك أن هذه الأشعار التي سمعتها الليلة وسمعتها العام الماضي من الشباب في مثل هذا الاجتماع تختلف اختلافاً كبيراً عن الأشعار التي كنت أسمعها قبل أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة من الشباب.. فقد تقدمت إلى الأمام كثيراً وتحسنت وصقلت فضلاً عن ما يلاحظه المرء من مضامين جيدة فيها. لقد تطور الشعر في هذا البلد حقاً. إذن، نحن نمتلك اليوم هذه الثروة الوطنية لكن علينا أن نضاعفها. ومضاعفتها مهمة تقع على عاتق الأجهزة المسؤولة وكذلك على عاتق الشعراء أنفسهم وأصحاب القرائح. أي إن عليكم أيها الإخوة والأخوات أصحاب القرائح أن تشعروا بالمسؤولية، فهذه نعمة أعطيت لكم وعليكم شكرها. وشكرها في أن لا تضيعوها ولا تسمحوا بزوالها، بل تحافظوا عليها وتضاعفوها وتفجروا هذا الينبوع أكثر فأكثر. وعندئذ يأتي الدور للطور الثالث وهو أين وكيف نستخدم هذه الثروة. اعتقد أن الشعر كسائر أنواع الفن لا يمكن تأطيره وتقييده – هذا ما نعرفه جيداً ونوافقه. الانضباط غير ممكن في عالم الفن بنفس معناه الدارج في شؤون الحياة الأخرى. لا يمكن توقع

مثل هذا الانضباط ولا هو ضروري أساساً. أرى أنه لو أردنا إشاعة مثل هذا الانضباط في الفن وبشكله الدارج والضروري في قضايا الحياة المختلفة، لنسفنا الفن وأضعناه. إذن، ليس هذا الانضباط هو ما أرمي إليه – لكن تقع على الشاعر نفسه مسؤوليات، والذين يستطيعون توفير أرضيات ميل الشاعر نحو مجالات معينة تحتاجها البلاد، تقع عليها أيضاً مسؤوليات. شعبنا اليوم بحاجة لأشياء يمكن إشباعها بلغة الفن ومنها لغة الشعر. ثمة سجايا كثيرة نحتاج حالياً إلى جعلها أخلاقاً وطنية في بلادنا. لا نستطيع أن ننسى أننا كنا نعيش لعدة قرون تحت أحذية الاستبداد. أفضل ملوكنا على مرّ التاريخ ممن قد نفخر بأسمائهم كانوا من أقسى الناس وأشد الحكام ظلماً. نادر شاه أسطورة من حيث البطولة وكبطل وطني، لكنه كان غولاً مرعباً لشعبه في زمن حياته. وكذلك الشاه عباس. نحن نفخر بهؤلاء لأنهم أنجزوا أعمالاً كبيرة، ولكن لاحظوا كيف تعامل هؤلاء مع أبناء بلدهم. لاحظوا كيف تعامل أفضلهم ممن يسمّون صالحين وأتقياء نسبياً، وكيف تعامل من لم يكونوا أتقياء.

عشنا هكذا قروناً وتكوّنت لدينا طباع وصفات يجب إصلاحها وجعلها إسلامية. نحن بحاجة للصفاء، وعدم التلّون، وروح الإخوة، بحاجة إلى أن يشعر كل واحد منا في المجتمع بالأمن حيال جيرانه، وفي محل كسبه وعمله، وفي الشارع، ولا يشعر بعدم الأمان. هذه أحوال غير متوفرة الآن. نحن بحاجة إلى القدرة على الإبداع وشجاعة التجديد كسجية وطنية. وهذه ليست الآن من سجايانا الوطنية. قد يكون البعض على درجة عالية في هذه السجايا والخصال ونحن على استعداد لتقبيل أياديهم، لكن هذا لا يكفي. يجب أن تتحول هذه الصفات الحسنة إلى سجايا وطنية. التراحم مع البعض، والأمل بالمستقبل، وإشاعة الأمل لدى الآخرين.. هذه سجايا إذا توفرت لدى شعب فسوف يطوي طريق التكامل على أفضل وجه. نحن بحاجة لهذه الخصال. ما هي الوسيلة التي يمكن تأمين هذه الصفات بها؟ لا يمكن توفيرها بالأوامر أو النصائح. يمكن الإيحاء بها عن طريق لغة الفن بحيث تمتلئ الأجواء بها. إذن، الشعر الأخلاقي من احتياجاتنا اليوم.

وقد يكون الشعر الأخلاقي في أرقى درجات الجودة. انظروا إلى تاريخ الأدب عندنا. سعدي الشيرازي في قمة الشعر الأخلاقي وشعر المواعظ والنصيحة. وكذلك فردوسي، ونظامي، وسنائي، وناصر خسرو. وهكذا هم الكثير من شعرائنا الكبار. ثم إن جامي هو أيضاً

كذلك. وفي الفترة الأخيرة، خلال عهد الأسلوب «الهندي» لدينا واعظ قزويني على هذا النحو. واعظ قزويني كان واعظاً يرتقي المنابر ويعظ، وشعره من الناحية الفنية في القمة وجيد جداً وذو مضامين رصينة ضمن إطار المدرسة الهندية. وصائب نفسه. لو جمعتم من عدة آلاف بيت لصائب غزلياته الأخلاقية والوعظية فقط لكانت ديواناً كبيراً.

وأنتم الآن تنظمون أشعاراً في القضايا الدينية تسمونه الشعر الديني. إنه شعر يعنى فقط بقضايا الأئمة عليهم السلام وأهل بيت الرسول، وهذه حالة جيدة جداً، أي إن هذا الموضوع قطب عاطفي جيد جداً. وهذه إحدى خصائص التشيع أن يكون له هذا البعد العاطفي وهذه العواطف المتدفقة والحب إلى جانب البعد البرهاني والعقلي المتين الموجود في عقائدنا، إذ لا يتمتع أي من المذاهب الإسلامية بمتانة العقائد الكلامية للشيعة سواء في أصول الدرجة الأولى أو في أصول الدرجة الثانية.. العواطف الملحوظة في أشعاركم أنتم الشباب والتي يستمتع الإنسان بها حقاً حينما يقرأها. هذا الشعر الديني جيد. إنه صناعة نموذج وإشارة إلى النماذج الواقعية للحياة استمداداً من الأئمة (عليهم السلام) أو من شخصيات المعصومين بدل هذه النماذج المصطنعة والزائفة التي يطرحونها اليوم بمختلف صنوف الوسائل على الشعوب وليس على شعبنا فقط؛ من قبيل الممثلين وأناس تافهين يعدونهم نماذج.. نساءً ورجالاً، وشخصيات الرقص والاستعراض.

إذن الشعر الديني جيد، وأنا لا أشك إطلاقاً في أن ما تقومون به في مجال قضايا الأئمة والتوسل وإبداء الحب والمودة والرثاء هو ممارسة جيدة لكنها لا تكفي.

جانب مهم من شعرنا الديني يمكن أن يتركز على القضايا العرفانية والمعنوية. وهذا بحد ذاته بحر عظيم. لاحظوا شعر مولوي. لو افترضنا أن أحداً غير قادر على «ديوان شمس» بسبب لغته وحالته الخاصة، وكثيرون منا غير قادرين، وإذا اعتبرناه بعيد المنال إلى حد ما، فهناك «المثنوي» الذي يقول هو نفسه إنه: أصول أصول أصول الدين. والحق أن هذا هو رأيي. ذات مرة سألني المرحوم الشيخ مطهري ما هو رأيك في المثنوي فقلت له هذا. قلت له أعتقد أن المثنوي هو ما قاله هو عن نفسه: أصول أصول أصول الدين.. فقال إن هذا صحيح تماماً وأنا أيضاً أرى هذا. طبعاً اختلفنا في الرأي قليلاً حول حافظ الشيرازي. أو «بيدل» في الفترة المتأخرة.. ذلك الديوان العظيم والبحر العميق الذي يصنعه بيدل وكم في هذه المفاهيم

التوحيدية من العرفان – وقد أنجز السيد كاظمي عملاً جيداً يتعلق بمختارات من غزليات بيدل وقد تصفحت قدراً منها.. هو طبعاً اختار بعضها وقد لا تمثل حتى عشر غزليات بيدل، لكنه عمل جيد على كل حال – مهما يكن من أمر فإن شعر بيدل وهو من منتجات المدرسة الهندية، يعد من الأعمال الفنية المعقدة القوية الدالة على مهارته – وقد لا يستمتع القارئ كثيراً ببعض أِشعاره بسبب هذا التعقيد الفني، لكنها أشعار فنية حقاً وتدل على متانة شاعرية هذا الرجل غير الإيراني، والذي يظهر أن لغته الأم ليست الفارسية – لا أدري هل كانت لغة الأم لدى بيدل هي الفارسية؟ كانوا يتحدثون الفارسية في دلهي؟ ... نعم، على كل حال، أجيبوا أنتم لاحقاً عن هذه الأسئلة؛ ولكن كان يتحدث الفارسية بكل هذه الطلاقة.. بحر من العرفان. مكان هذه الأحوال خالٍ في أشعار شبابنا اليوم. وهي ليست بالأمور التقليدية. أي لو أراد شخص تقليد عبارات حافظ أو عبارات مولوي أو عبارات بيدل بعينها، وذكر تلك المفاهيم بنفس تلك الألفاظ التقليدية من دون أن يكون قد غار في أعماقها، فلن يكون للشعر طعم، أو لذة، أو فائدة ينبغي فهم الشيء وتنضيجه في الذهن، ثم التعبير عنه بلغة الفن والقريحة التي يمنّ الله بها وهي متاحة لكم والحمد لله.

وفي خصوص القضايا السياسية والثورية أيضاً اعتقد أنه يجب العمل كثيراً. هناك الكثير من الأعمال غير المنجزة. قضية الشهيد والشهادة قضية لا تنتهي ولن تنتهي في أي وقت من الأوقات وهي مستمرة والحمد لله. وهناك الأشعار الجيدة التي نسمعها والحمد لله في كل مرة نجتمع فيها مع الإخوة والأخوات، والأشعار التي أقرأها في مصادر أخرى، لكن قضايا الثورة لا تنحصر في قضية الشهيد. لدينا الكثير من المفاهيم الثورية السامية. لقد طرحت الثورة أفكاراً جديدة في العالم، وهذا ليس بالشيء القليل، وهناك طبعاً الضجيج واللغو والتضبيب الإعلامي للأعداء ضد الثورة، ولسنا نتوقع منهم غير هذا. لكن هذه هي حقيقة القضية: جاءت الثورة بشيء جديد أثبت إلى اليوم أنه لا يموت. لم يستطيعوا القضاء على هذا الشيء مهما فعلوا، بل انتشر أكثر وترسخ وتجذر أكثر يوماً بعد يوم وتحدى القوى الكبرى وأحبط ضغوطها. لاحظوا أي شعب في العالم، وأي بلد، وأية حكومة في العالم اليوم بوسعها الوقوف بصراحة أمام شعارات الاستكبار وأهدافه العدوانية التوسعية، باستثناء شعب إيران؟ ليس ثمة أي شعب آخر، ولا أية حكومة أخرى. وما هذا إلا بفضل هذه الرسالة. هذه المتانة التي أحرزتها بنية هذا

النظام ببركة هذه الرسالة لا يمكن الاستهانة بها. هذا شيء على جانب كبير من الأهمية. ينبغي إيصال هذه الرسالة. إنها رسالة العدالة.. إنها رسالة المعنوية. إنها رسالة تكريم الإنسان بالمعنى الحقيقي للكلمة، وليس التكريم الأمريكي الغارق في الكذب والدجل. هذه رسائل مهمة جداً، ويجب نقلها بصورة صحيحة، وكما ذكرت لا يمكن استنساخ أي منها، ولا فائدة من تكرارها بطريقة ببغاوية. أي يجب فهمها وإذابتها في الذهن ومن ثم نقلها. ثروة الشعر العظيمة – وهي ثروة وطنية باقية – ينبغي إنفاقها في هذه السبل. أنا طبعاً لا أوصي أبداً أي شاعر بأن لا ينظم شعر الحب. واضح أن هذا غير ممكن. لكل شاعر على كل حال ميوله الذوقية الطبيعية. لكن بوسعي أن أوصي بالحذر من الإفراط في هذا الجانب فلا تملأ هذه المضامين الفضاءات الذهنية للشعر كلها، ولا يخرج مضمون الحب عن هالة حيائنا الإيراني – الإسلامي، ولا يشيع الشعراء الشعر الإباحي كما أراد الأعداء دائماً. لتنظم قصائد الحب، لسنا جافين إلى درجة أننا لا نحب مثل هذا الشعر، ولا متجمدين إلى درجة أننا لا نفهم مثل هذا الشعر؛ بلى نفهمه، ويروقنا، ولكن يجب أن لا ننفق هذه الثروة الوطنية على هذا الغرض الشعري فقط. إنها ثروة عظيمة جداً. لكن الوضع كان هكذا في الماضي وعمل الكثيرون على هذه الشاكلة وتحليل ذلك يقتضي الكثير من الوقت.

ليت اثنان أو ثلاثة من الأعزاء ألقوا قصائدهم بمقدار ما تحدثنا نحن، وليتنا أنتفعنا من شعرهم أكثر. على كل حال أتقدم بالشكر لكم جميعاً مرةً أخرى. نحيّي ذكرى المرحوم قيصر أمين بور الذي أفجعنا رحيله حقاً. الحق والواقع أننا بعد المرحوم حسيني كنا مغتبطين بأمين بور الذي فارقنا هو الآخر للأسف. والآن يجب أن نعرف قدركم عسى أن لا تتركونا لوحدنا لا قدّر الله.

من المعروف أن مراسلاً شاباً قال لكاتب فرنسي مسن جاءوا به على عربة المقعدين: سنراكم في هذا الاجتماع السنة القادمة أيضاً. بمعنى أنك عجوز ونتمنى أن لا تموت! فنظر إليه وقال: نعم، أما أنت فلا تزال شاباً يافعاً! نتمنى أن تكونوا شباباً على الدوام ونراكم في هذا الاجتماع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته